سمو رئيس الوزراء قال لي

البحرين صغيرة في مساحتها ومواردها .. غنية بوطنية أبنائها

نرحّب بالنقد المعارف الذي يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار

المواطن الصالح هو الذي لا يتستّر على العيوب ولا يجامل

تراثنا غني بالقيم وعلى كتّابنا وفنّانينا استثماره ..

● صاحب السمو رئيس الوزراء ●

كتب ـ عقيل سوار .

عندما نشرت (الصورة الشعبية) الأولى في ١٠ يونيو ١٩٩١ ، بدأت بتقديم متحفظ وعدت فيه القارىء الكريم بأن أعيد النظر في التجربة بعد مضي أشهر ثلاثة عليها واستمزاج آراء القراء وردود أفعالهم ، وكنت أعلم حينها ولا أزال صعوبة وصول الموال مكتوبا للقارىء .. وكنت أعلم أن هامش الخطأ في التجربة الأولى لكتابة الموال ، لا يقل عن أي تجربة فنية أخرى بل يزيد ، وكنت أعلم أن التجربة الأولى لمجتهد يعوزه التراكم المطلوب ، وربما الموهبة اللازمة لطرق هذا الباب الصعب من ابواب الشعر خاصة ، هي مغامرة محفوفة بالمخاطر .

□□□□□□□□□□

خلال الشهر الأول ، جاءت النتائج محبطة ، وليس أكثر احباطا لكاتب من أن يتلقى القاريء نتاجه بصمت مطبق ، وكدت أوقف التجربة في مهدها ، لولا اصرار وعون الزميل أحمد كمال رئيس التحرير الذي أدين له بالكثير من الوقت والجهد وسعة البال .

في الشهر الثاني ، بدأت تصلني بعض ردود الفعل المتفاوتة بين إشادة متحفظة ونصيحة صادقة النوايا من بعض الأصدقاء بأن اترك الشعر لأهله ، وفي الحالتين وجدت ما حفزني على مواصلة التجربة الى المدى الذي حددته سلفا .

في الشهر الثالث ، فوجئت بردود فعل تكفي لتبديد مخاوفي ، من أن ما كنت اكتبه يتعدى مجرد هراء ثقيل على سمع ونفس القارىء ، لكن ذلك لم يكن يكفي لكي احسم أمر التجربة سلبا أو ايجابا فقررت الإستمرار لفترة أطول علني احسم امرها ، حسما لا رجوع بعده .

بعد مرور حوالي ستة أشهر بت مقتنعا من خلال ما استشعرته من المتابعة الحثيثة لشريحة كبيرة من القراء ـ بينهم لدهشتي قراء غير بحرينيين ـ أن التجربة قد أرست مايكفي لترجيح كفة استمرارها ، و لايسيء احدكم الفهم ، فإن هذا القول لايعني البتة أن هذه القناعة ، تتجاوز الأسئلة الصعبة المتعلقة بالمستوى الفني لهذه المواويل ، انها تعني فحسب ، ان التجربة قد دحضت التحفظ على صلاحية الموال كاداة تعبير لزمن يختلف في ظروفه وذوقه واشتراطاته ، وانه اذا كان مايشع من

ويؤكد سموه مرة أخرى في اللقاء الذي استمر زهاء الساعة وتميز بانفتاح وصراحة متناهية :

ـ اننا لا نريد أن نفرض على كتابنا وفنانينا الأفكار التي يطرحونها ويتادون بها في كتاباتهم أو نحدد لهم الأساليب الفنية التي يعبرون بها عن تلك الأفكار ، ومن حق كل منهم أن يجتهد طالما كان هذا الاجتهاد يتسم بالنية الحسنة ويضع خدمة المصلحة العامة ولا شيء غيرها في اعتباره ، ولكن من حقنا كمواطنين متلقين لهذا الفن ، قبل أن نكون مسئولين أن نطالب هؤلاء بأن يستنبطوا أساليب فنية تنبع من تراثنا وقيمنا الاجتماعية وتحاكي واقعنا وأذواقنا كمجتمع له تراثه وخصوصيته .

ويضيف سموه بحمية صادقة : ان لهجتنا البحرينية وتراثنا البحريني عامة غني بقيم فنية وأخلاقية لم يستثمرها الجيل الجديد من كتابنا الاستثمار الأمثل بعد ، ولعل الفضل في وصول ما تكتبه من (صور شعبية) الى قلوب الناس ومحاكاة وجدانهم ، يعود للاستثمار الموفق لهذه اللهجة وهذا التراث .

□□□□□□□□□□

وبعد عزيزي القارىء ..

ان مثل هذا التقييم والتكريم من قبل أي قارىء هو الزاد الحقيقي لأي كاتب منا ، وبداهة فهو حين يصدر عن سمو رئيس الوزراء كقارىء متذوق أولا ، وكشخصية رسمية تستنير كافة الفعاليات في الدولة بتوجيهاتها ثانيا ، فان وقع هذا التكريم بالنسبة لي يتجاوز أسباب الفرح الانانية ـ وهي أنانية مشروعة ـ لتطال ما هو أعم وأشمل وأهم ، وهو تكريم النهج الذي أزعم بتواضع انني واحد من حملة رايته في مجال المسرح خاصة .

ولعلي انتهز المناسبة فاعرج بالحديث ، على مسرحية «سوق المقاصيص» التي كانت حديث الديرة خلال الأسابيع الماضية ، وأجيب ، بل استرشد بتقييم سمو رئيس الوزراء للاجابة على التساؤل المطروح في الساحة حول أسباب نجاحها الكاسح ، أو ان شئتم أن استرشد بهذا النجاح الكاسح لتأكيد مصداقية تقييم سموه لفاعلية النهج القائم على استلهام التراث والخصوصية البحرينية لتقديم فن ينتمي للناس ويتناول همومهم .

شكرا لسمو رئيس الوزراء ، ثم معذرة لسموه ، ان كنت قد أغفلت بعض (ما قاله لي) ، وعذري في ذلك أن فيضا مما شملني به سموه من جميل القول وكريم التعامل ، قد استقر في النفس .. وفي النفس يبقى .

تعني فحسب ، ان التجربة قد دحضت التحفظ على صلاحية الموال كأداة تعبير لزمن يختلف في ظروفه وذوقه واشتراطاته ، وانه إذا كان مانشر من مواويل ، اعرف بعض قصورها واجهل بعضها الآخر ، قد استطاعت رغم ذلك أن تجد لها في نفس القارىء مكانا ، فحري بالموال المستوفي للشروط الفنية أن يجد لنفسه مثل هذا المكان بلا تحفظ ..

وعلى ضوء ذلك ، قررت اعتبار ما نشر خلال الأشهر الماضية دورة أولى ، تليها دورات قادمة بعد توقف يتيح لي التقاط الأنفاس وتجنب الوقوع في التكرار ، ومراجعة بعض أوجه القصور التي ادركتها من ملاحظات القراء . وفيما كنت أستعد لذلك ، يجيء إتصال الأخ محمد المطوع مدير عام مكتب سمو رئيس الوزراء بي ، ليتوج هذه القناعة ، حين ينقل لي حرص سمو رئيس الوزراء على متابعة ما أنشر من (صور شعبية) متابعة حثيثة وينقل لي توجيها ساميا من سموه بوجوب استمرارها ، وليؤكد هذا الحرص بلفتة كريمة من سموه تقضي بنشر تلك المواويل في كتب تطبع على نفقة سموه الخاصة ، ثم يتمادى سموه في الكرم فيشرفني بلقاء مطول في جلسة حميمة اتسمت بالكثير من البساطة والود والمكاشفة الصادقة .

إنه إذا كان مثل هذا التكريم على الصعيد الشخصي مدعاة لفخر أي كاتب منا وشرفا يتوق إليه ، فإنني لا أخفي غبطتي وفرحي ، بزعمي أنني حظيت من سموه بهذا الشرف مضاعفا .

المرة الأولى حين حظيت به ، وانا طفل لم يزل يحبو في روضة الموال وتنتابه هواجس السقوط الموجع ، يتلمس السند ، فيجيئه شد الأزر بهذا الحجم !

□□□□□□□□□□

المرة الثانية هي أن سموه حين خصني بهذا التكريم انما كان يكرم قلما يحاول التعبير عن آرائه بصدق وموضوعية .

ولقد تحدثت أمام سموه بكل الصراحة ولقد كان رد سموه يحمل الكثير من الود والعتاب الأبوي حين قال ان تقديرنا لأبنائنا لا يأتي بناء على انسجام أو اختلاف أفكارهم معنا ، ان ما يعنينا حين تتعلق المسألة بالنشر وابداء الرأي هو ان تتسم الافكار المطروحة بالموضوعية المطلوبة ، وأن يحرص الكاتب منكم على ادراك الوضع الخاص للبحرين كدولة صغيرة تعيش وسط عالم تتشابك فيه الخيوط وتتقاذفه الأمواج ، فيجعل المصلحة العليا للبحرين نصب عينيه وهو يتناول بالتعليق والتحليل قضايا المنطقة وعلاقات البحرين بدولها ودول العالم الاخرى .

وأضاف سموه : على الصعيد المحلي ، نعتبر النقد ظاهرة صحية مطلوبة اذا ما التزمت بحدود النقد الهادف البناء الذي يعاين مظاهر الخطأ بروية ويجتهد باخلاص لطرح البدائل والحلول ، والمواطن الصالح أينما كان موقعه بالنسبة لنا هو من يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار ، وهو من يدفعه حرصه على هذه المصلحة ليصدق القول فلا يتستر على العيوب أو يجامل خشية من حساب أو ابتغاء لمصلحة خاصة .

اننا نتابع بصورة خاصة ما ينشر من نقد لأجهزة الدولة ونكن لهؤلاء المنتقدين كل تقدير واحترام ، ولقناعتنا ان من يتحمل مشقة قول الحق بسلامة نية دون ابتغاء مصلحة شخصية هو صديق صدوق يستحق التقدير .

لكن يجب أن نفرق بين النقد والهدم ، بين الموضوعية والعشوائية ، بين النقد المستند الى وعي علمي وبين النقد الجاهل الذي يهدم ولا يبني ، وهذه هي المسئولية الحقيقية للكاتب والصحفي ، فمهمة الصحافة الحقيقية هي أن ترقى بالقارىء ولا تردد ما يتناوله العامة .

وأضاف سموه : ان حرية التعبير هي قيمة أصيلة من قيم مجتمعنا ، التي نحرص على ترسيخها كدولة صغيرة محدودة الحجم والموارد المادية ، لكنها كبيرة بمواردها البشرية وغنية بعطاء ابنائها . ولذلك نحرص على رعاية هذه الموارد وتنميتها في كافة مجالات العطاء ومن هذا المنطلق ، حرصت شخصيا على أن أؤكد لك اهتمامي بما تكتبه وضرورة حفظ ما تكتبه في (صور شعبية) عن الضياع ، لما وجدت فيها من صدق وأصالة بحرينية لمست جوارحي كقارىء بحريني قبل أن تلمسه كمسئول يعنيه أن يرى موهبة بحرينية تثبت حضورها بين الناس وتجهد اخدمة المصلحة الوطنية ، كما لمست جوارح الكثيرين غيري ممن تربطهم بالأرض والنخل والبحر والقيم البحرينية جذور جاءت تلك الصور الشعبية لتبث الروح فيها .. ولشعوري ان من حق البحرين علينا مواطنين ومسئولين أن نحفظ لها جهود ابنائها الابداعية وننقلها للأجيال القادمة لتكون جزءا من تراثهم وتاريخا لعطائهم .

ويمضي سموه في القول : اننا لا ندعي الكمال وقد تحول مسئولياتنا وانشغالنا بالأولويات أحيانا عن متابعة كل نتاج أدبي وفني بحريني وتكريمه التكريم المناسب في الوقت المناسب ، ولكن ثق اننا نقدر كل الجهود المخلصة ونكن لأصحابها احتراما خاصا.